مشاركة في الملتقى الوطني حول: " أنثروبولوجيا الأديان ودراسة ثقافة المجتمع الجزائري " يوم 27 نوفمبر2024، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة، كلية أصول الدين

Participation in the national conference on: "Anthropology of Religions and the Study of Algerian Society's Culture", on November 27, 2024, at Emir Abdelkader University of Islamic Sciences – Constantine, Faculty of Fundamentals of Religion.

عنوان المداخلة:

الانثروبولوجيا الدينة وتحديات الحفاظ على الهوية: دراسة في الثو ابت الروحية والقيمية للمجتمع الجز ائري

Title of the Intervention:

Religious Anthropology and the Challenges of Preserving Identity: A Study of Spiritual and Value Constants in Algerian Society

الدكتورة أحلام بلعطار

الدرجة العلمية: أستاذ محاضر -أ-

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Doctor : Ahlem Belattar

Academic Rank : associate professor

Emir Abdelkader University of Islamic Sciences

الملخص:

تنطلق الدراسة من أهمية الأنثروبولوجيا الدينية في فهم العلاقة بين الإنسان والدين والهوية، حيث تركز على المجتمع الجزائري كنموذج يجسد التفاعل بين الثوابت الروحية والتحديات المعاصرة. وتبرز الدراسة كيف تشكل المنظومة الدينية والقيمية، المتمثلة في الإسلام ومؤسساته التقليدية كالمساجد والزوايا، بنية متماسكة في النسيج الاجتماعي والثقافي الجزائري. وتكشف النتائج عن قدرة هذه المنظومة على التكيف مع متطلبات العصر مع الحفاظ على جوهرها الأصيل، مما يجعلها ركيزة أساسية في بناء الهوية الوطنية. وتخلص الدراسة إلى أن الحفاظ على الثوابت الروحية والقيمية في ظل التحولات المعاصرة يتطلب تضافر الجهود المؤسساتية والمجتمعية لضمان استمرارية الإرث الثقافي الجزائري وتواصله عبر الأجيال، مع تبني رؤية متوازنة تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

كلمات مفتاحية: -الانثروبولوجيا الدينية –الهوية – القيم – الثوابت الروحية.

Abstract:

This study examines the role of religious anthropology in understanding Algerian society's relationship with identity and spiritual constants. It analyzes how the Islamic religious system and its traditional institutions form a coherent social and cultural structure, demonstrating its adaptability to modern challenges while maintaining its authentic essence. The research concludes that preserving these spiritual constants requires collective efforts to ensure cultural continuity across generations through a balanced approach between tradition and modernity.

Keywords: Religious Anthropology - Identity - Values - Spiritual Constants

المقدمة:

تشكل دراسة الأنثروبولوجيا الدينية أهمية بالغة في فهم العلاقة المعقدة بين الإنسان والدين عبر مختلف الثقافات والمجتمعات. فمنذ فجر التاريخ، ارتبط الوجود الإنساني بالبعد الروحي والديني الذي شكل منظومة القيم والمعتقدات التي تنظم حياة المجتمعات وتحدد هويتها الثقافية. وتكتسب هذه الدراسات أهمية متزايدة في عصرنا الراهن الذي يشهد تحولات عميقة على المستويات الاجتماعية والتكنولوجية والثقافية.

وتتغيا هذه الدراسة تحقيق أهداف جوهرية تتمثل في تحليل العلاقة بين التحولات المعاصرة والمنظومة القيمية والروحية في المجتمعات، ورصد التحديات التي تواجه الحفاظ على الهوية الدينية في ظل العولمة، واقتراح آليات عملية للموازنة بين الحفاظ على الثوابت والانفتاح على المتغيرات. وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تسهم في فهم ديناميكيات التغير الاجتماعي وتأثيرها على المنظومة القيمية، كما تساعد في حماية الهوية الثقافية والدينية للمجتمعات، وتقدم رؤية متوازنة للتعامل مع تحديات العصر دون التفريط في الثوابت.

وانطلاقاً من المنهج الأنثروبولوجي الذي يقوم على دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية دراسة معمقة وشاملة، تبرز إشكالية جوهرية تتعلق بفهم وتحليل آليات تفاعل المجتمعات مع التحديات المعاصرة وتأثيرها على المنظومة القيمية والروحية. فكيف يمكن - من منظور أنثروبولوجي - فهم طبيعة العلاقة بين الثوابت الدينية والمتغيرات المعاصرة؟ وما هي الأنماط السلوكية والثقافية التي تتبناها المجتمعات للحفاظ على هويتها الدينية في ظل هذه التحولات؟ وكيف يمكن للمنهج الأنثروبولوجي أن يساعدنا في فهم وتحليل استراتيجيات التكيف التي تتبعها المجتمعات للموازنة بين الأصالة والمعاصرة.

1. الإطار المفاهيمي

1.1 الأنتروبولوجيا الدينية، المفهوم والدلالة

الأنثروبولوجيا هي الدراسة الشاملة للإنسان بكافة أبعاده وجوانب حياته. فهي تتناول الإنسان من منظورين رئيسيين: الأول كمخلوق بيولوجي، والثاني ككائن يعيش ضمن منظومة اجتماعية وثقافية واقتصادية متكاملة. (ستروس، (2019)، ص 18)

يطلق عليها "علم الإنسان" أو "الإناسة" لأنها تضع الإنسان في محور اهتمامها، حيث تدرس تطوره وتحولاته عبر العصور - من المجتمعات البدائية حتى الحضارات المعاصرة. كما تسعى، من خلال تحليل هذا التطور التاريخي، إلى استشراف مستقبل البشرية وتوجهاتها. (هلال. (1974)، ص9.) وبذلك، يمكن تعريف الأنثروبولوجيا بأنها " العلم الذي يدرس الإنسان دراسة متكاملة تشمل جوانبه البيولوجية والاجتماعية والحضارية." (مصطفى ، (1981)، ص56)

نشأت الأنثروبولوجيا الدينية كاتجاه علمي مستقل في القرن التاسع عشر، حيث بدأت مع الأعمال الرائدة للمفكرين مثل إدوارد تايلور وجيمس فريزر، اللذين وضعا الأسس الأولية لدراسة الظواهر الدينية من منظور علمي. وقد تعمقت هذه الرؤية مع إسهامات إميل دوركايم الذي قدم تحليلاً عميقاً للأشكال الأولية للحياة الدينية، مؤكداً على وظيفتها الاجتماعية وأهميتها في تماسك المجتمعات.

شهد هذا الحقل المعرفي تحولاً منهجياً جوهرياً مع الأنثروبولوجي كليفورد غيرتز، الذي ركز على دراسة الرموز والمعاني الدينية بعمق، متجاوزاً التفسيرات السطحية إلى فهم أعمق للبنى الرمزية وتعقيداتها. وفي العصر الحديث، اتسع نطاق الدراسات الأنثروبولوجية الدينية ليشمل التحولات الدينية المعقدة في عصر العولمة، حيث أصبحت تدرس تأثيرات العولمة على الممارسات والمعتقدات الدينية وتفاعلاتها المتشابكة.

تعرف الأنثروبولوجيا الدينية اليوم كاتجاه علمي يدرس الظاهرة الدينية بشكل شامل ومتعدد الأبعاد، مركزًا على فهم الدين كمنظومة حية ومتغيرة تتجاوز حدود الإثنية والأديان التقليدية. فهي تنظر للدين من منظورين: تزامني يركز على بنيته الداخلية، وتطوري يتتبع تحولاته عبر الزمن، مع التأكيد على أن "الديني" يمتد ليشمل منظومات فكرية متنوعة تتجلى في الميولات العاطفية والأخلاقية. (باستيد، (2015)، ص52) .

إن هدف الأنثروبولوجيا الدينية هو تحقيق فهم معمق وشامل للظاهرة الدينية، متجاوزة بذلك الدراسات التقليدية من خلال منهجية متكاملة تجمع بين الوصف التحليلي والملاحظة الميدانية المباشرة. فهي تبتغي رصد أنماط التدين وتجلياته في الحياة اليومية للمجتمعات، وتحليل العلاقة الجدلية بين المعتقدات الدينية والممارسات الاجتماعية، مع التركيز على فهم دور الدين في تشكيل الهوية الثقافية. وتتميز بمقاربة شمولية تتتبع التحولات في الممارسات الدينية وتأثرها بالتغيرات الاجتماعية، وتدرس آليات انتقال وتوارث المعتقدات والطقوس عبر الأجيال، مستندة إلى اهتمام دقيق بالسياق الثقافي والاجتماعي الذي تنبع منه هذه الظواهر الدينية، (جابر، (1991)، ص39.) مما يسمح بفهم أعمق للبنى الرمزية والمعنوية التي تشكل جوهر الممارسة الدينية في المجتمعات المختلفة.

2.1 . مفهوم الهوية والثو ابت الروحية:

1.2.1 مفهوم الهوية

تمثل الهوية الإطار المعنوي والرمزي الذي يجمع أفراد المجتمع في نسيج ثقافي موحد، حيث تتأسس على الشعور العميق بالانتماء إلى أصول مشتركة، وتتجلى في مجموعة من التعبيرات الثقافية المميزة التي تشمل المنظومة الرمزية والتراث الموسيقي والممارسات الاجتماعية المتوارثة. وتكتسب هذه الهوية خصوصيتها وتفردها من خلال ما تحمله من سمات ثقافية تميزها عن غيرها من الهويات، مع قدرتها على الحفاظ على استمراريتها وحيويتها عبر الزمن من خلال عناصر ثقافية راسخة كالأساطير المؤسِسة والقيم الاجتماعية والموروث الثقافي المتجدد، مما يجعلها قوة حية في تشكيل الوعي الجماعي وتوجيه السلوك الاجتماعي. **(عبد الرؤوف ، (2014)، ص 443.)**

ويرى عبد الحميد بن باديس أن: " الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأغر ومستقبلها السعيد، هي لغة الدين والجنسية والقومية واللغة الوطنية المغروسة ..."، (بن باديس،(2016)،ج3 ص264)

ويجسد هذا القول رؤية عميقة لمفهوم الهوية الجزائرية بحيث يربط أبعاد الزمن الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، إذ تشكل الروابط الدينية واللغوية والقومية العناصر الأساسية المؤسسة لهذه الهوية المتجذرة. فالدين كمكون جوهري يمثل المرجعية القيمية والروحية، بينما تمثل الجنسية والقومية الإطار الانتمائي والوجداني المشترك، في حين تأتي اللغة الوطنية كوعاء حضاري يحفظ هذا الموروث ويضمن استمراريته عبر الأجيال. وبهذا الفهم، تتجاوز الهوية كونها مجرد انتماء شكلي لتصبح قوة حية "مغروسة" داخل البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، تستمد حيويتها من مجد الماضي، وتتجدد في الحاضر، وتستشرف مستقبلا يحافظ على خصوصيتها وتميزها.

2.2.1 مفهوم الثو ابت الروحية

تتمثل الثوابت الروحية في المجتمع الجزائري في منظومة متكاملة من المعتقدات والقيم والممارسات الدينية المتأصلة التي تشكل جوهر الهوية الثقافية والاجتماعية، حيث ترتكز أساساً على العقيدة الإسلامية بأركانها وتعاليمها، وتتجلى في الالتزام بالشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والزكاة والحج، وتمتد لتشمل قيما روحية وأخلاقية راسخة كالتقوى والخشوع والصدق والأمانة والتسامح والتكافل، مع حضور قوي للموروث الصوفي بطرقه وتقاليده الروحية في التزكية والذكر، وتتعزز هذه المنظومة بمجموعة من القيم المجتمعية المتجذرة كصلة الرحم وبر الوالدين واحترام الكبير والعطف على الصغير، مما يشكل في مجمله إطارا هوياتيا يجمع بين الانتماء للأمة الإسلامية والتمسك باللغة العربية والاعتزاز بالتراث الإسلامي والدفاع عن المقدسات كثوابت أساسية في الشخصية الجزائرية.

3.2.1 العلاقة بين الهوية والثوابت الروحية

تشكل العلاقة بين الهوية والثوابت الروحية محورا أساسيا في الدراسات الأنثروبولوجية الدينية، حيث تتجلى في ثلاثة مستويات متكاملة:

الأول يتعلق بمفهوم الهوية الدينية والثقافية التي تُعرَّف كمنظومة متكاملة من المعتقدات والقيم والممارسات التي تميز جماعة بشرية معينة وتشكل إطارها المرجعي في فهم ذاتها وعلاقتها بالعالم.

أما المستوى الثاني فيتناول مكونات الثوابت الروحية، التي تتضمن المعتقدات الأساسية، والطقوس والشعائر، والقيم الأخلاقية، والرموز المقدسة التي تشكل النواة الصلبة للتجربة الدينية وتضمن استمراريتها عبر الأجيال.

ويتجلى المستوى الثالث في العلاقة العضوية بين الدين والهوية، حيث يعمل الدين كمصدر أساسي في تشكيل الهوية الفردية والجماعية، ويوفر إطارا معرفيا وقيميا يساعد في تحديد الانتماء وبناء المعنى، كما يساهم في تعزيز التماسك الاجتماعي وتنظيم العلاقات داخل المجتمع، مما يجعله عنصرا أساسيا في تشكيل وإعادة إنتاج الهوية الثقافية والاجتماعية. وحول هذا المعنى يرى مالك بن نبي أن "دور العنصر الديني بوصفه عامل تنظيم نفسي دور رئيسي، حيث يعمل كمبادئ موجهة تنطبع في ذاتية الفرد لتصبح دوافع وقواعد للسلوك، كما يمتد تأثيره ليشكل رادعا وقائيا في الظروف المرضية للمجتمع." (ابن نبي، (2012)، ص 71.)

إلى جانب اللغة العربية وهي الأن تتعايش والأمازيغية جنبا إلى جنب كلغتين رسميتين في البلاد. تهيمن العربية الفصحى على المجالات الرسمية كالتعليم والإدارة والإعلام، بينما تنتشر الدارجة الجزائرية - وهي مزيج من العربية والأمازيغية والفرنسية - في الحياة اليومية للمواطنين. أما الأمازيغية، التي أصبحت لغة رسمية في 2016؛ فتتنوع لهجاتها بين القبائلية في منطقة القبائل، والشاوية في الأوراس، والمزابية في غرداية، والترقية في الصحراء. وتضيف اللغة الفرنسية بعدا آخر لهذا الفسيفساء اللغوي، حيث لا تزال حاضرة بقوة في التعليم العالي وقطاع الأعمال والإدارة، مما يجعل من الجزائر نموذجا حيا للتعددية اللغوية التي تعكس عمق تاريخها وثراء هويتها الثقافية. (بوفاتح ، (2017)، ص42)

بالإضافة إلى المكون التاريخي أو التاريخ المشترك وفي هذا السياق، يؤكد المفكر مولود قاسم نايت بلقاسم أن" التاريخ يمثل عنصرا جوهريا في تشكيل شخصية الأوطان، وركنا أساسيا في بناء هوية الأمم وتميزها. فهو ليس مجرد سرد للأحداث الماضية، بل هو وعاء الهوية الوطنية ومصدر إلهام للأجيال الحاضرة والمستقبلية." (بلقاسم، (2007)، ص366). وفي ذلك يقول ابن باديس: " لقد أعطانا الله من هذا الدين الإنساني من هذا الدين العقلي الروحي ما يكمل عقولنا، ويهذب أرواحنا. أعطانا منه ما لم يعطه لغيرنا، لنكون قادة وسادة. وأعطانا وطنا شاسعا واسعا، مثل ما لغيرنا فنحن إذن شعب ماجد عظيم يعتز بدينه، يعتز بلغته، يعتز بوطنه، يعتز بقوميته، يستطيع أن يكون في الرقي واحدا من هذه الشعوب، وأن يفوق كثيرا من هذه الشعوب. ولنا من تاريخه الحافل ما يجعلنا نؤمن بصدق معتقدنا فيه." (بن باديس،(2016)،ج3، ص264)

2. الخصوصية الدينية والروحية للمجتمع الجزائري

1.2. المكونات الأساسية للهوية الدينية:

1.1.2 الإسلام كمرجعية دينية وثقافية

تتميز الخصوصية الدينية والروحية للمجتمع الجزائري بعمقها التاريخي وارتباطها الوثيق بالإسلام كمرجعية دينية وثقافية أساسية. فالإسلام في الجزائر ليس مجرد ديانة، بل هو منظومة شاملة تشكل النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع. فمنذ

دخول الإسلام إلى الجزائر، أصبح يمثل عنصراً محورياً في تشكيل الهوية الوطنية والشخصية الجزائرية، حيث امتزجت تعاليمه مع العادات والتقاليد المحلية لتشكل نمطاً فريداً من التدين يجمع بين الأصالة والخصوصية المحلية. ويتجلى هذا في الممارسات اليومية والطقوس الاجتماعية والاحتفالات الدينية التي تعكس التناغم بين البعد الديني والبعد الثقافي. كما ساهم الإسلام في تشكيل المنظومة القيمية والأخلاقية للمجتمع الجزائري، وأثر بشكل عميق في أنماط العلاقات الاجتماعية والروابط الأسرية. وقد برز دوره بشكل خاص خلال فترة الاستعمار الفرنسي، حيث شكل عنصراً أساسياً في المقاومة الثقافية والحفاظ على الهوية الوطنية. واليوم، يستمر الإسلام في لعب دور مهم في تعزيز التماسك الاجتماعي وتوجيه السلوك الفردي والجماعي، مع الحفاظ على خصوصيته التي تميزه عن التجارب الدينية في المجتمعات الإسلامية الأخرى.

2.2.2 التصوف والطرق الصوفية

يعد التصوف والطرق الصوفية من العناصر الجوهرية المكونة للهوية الدينية في الجزائر، حيث يمثل بُعدا روحيا في البنية الدينية والثقافية للمجتمع الجزائري، فقد عرفت الجزائر تاريخيا حضورا قويا للتصوف الإسلامي وطرقه المختلفة، التي ساهمت في تشكيل الوعي الديني والممارسات الروحية للمجتمع. فالطرق الصوفية لم تكن مجرد مؤسسات دينية، بل كانت مراكز إشعاع روحي وثقافي واجتماعي، حيث أدت إلى نشر التعاليم الإسلامية وتعميق الفهم الروحي للدين، كما ساهمت في الحفاظ على الهوية الثقافية خلال فترة الاستعمار من خلال الزوايا التي شكلت حصونا للمقاومة الثقافية والروحية. وتتميز الممارسة الصوفية في الجزائر بتنوعها وثرائها، حيث تمتزج فيها التعاليم الصوفية الأصيلة مع الخصوصيات المحلية، مما أنتج نموذجاً فريداً من التدين يجمع بين العمق الروحي والبعد الاجتماعي. وتستمر الطرق الصوفية اليوم في تأدية دور مهم في الحياة الاجتماعية والروحية، من خلال الحفاظ على التقاليد الروحية وتعزيز قيم التسامح والتعايش، وتوفير فضاءات للتأمل والتزكية الروحية في مواجهة تحديات العصر.

3.2.2 المؤسسات الدينية التقليدية

تمثل المؤسسات الدينية التقليدية حجر الأساس في تشكيل وحفظ الهوية الدينية في المجتمع الجزائري، حيث تشكل منظومة متكاملة من المؤسسات التي تتفاعل فيما بينها لخدمة البعد الديني والاجتماعي. فالمساجد، التي تعد القلب النابض لهذه المنظومة، لا تقتصر على كونها أماكن للعبادة فحسب، بل تمتد وظيفتها لتشمل التعليم الديني والتواصل الاجتماعي وتنظيم الحياة المجتمعية. وتتكامل معها الزوايا التي تجمع بين التعليم الديني والتربية الروحية، وتحمل إرثاً تاريخياً في حفظ الهوية والمقاومة الثقافية،(مختار، (2006)، ص54) إلى جانب المدارس القرآنية والكتاتيب التي تضطلع بمهمة تعليم القرآن الكريم وتنشئة الأجيال على القيم الإسلامية الأصيلة. كما تضطلع المجالس العلمية بتنظيم الشؤون الدينية وإصدار الفتاوى وتقديم التوجيه الديني للمجتمع، في حين تساهم مؤسسة الأوقاف في إدارة الموارد الدينية ودعم الأنشطة الاجتماعية وتعزيز التكافل المجتمعي. وتعمل هذه المؤسسات مجتمعة على حفظ الهوية الدينية ونقل المعرفة الدينية عبر الأجيال، وتنظيم الحياة الدينية والاجتماعية، وتعزيز التماسك المجتمعي، كما تشكل درعاً واقياً في مواجهة التحديات المعاصرة، وتساهم في تشكيل المرجعية الدينية التي يستند إليها المجتمع في فهمه لذاته وتحديد علاقته بالعالم المحيط به.

تأسيسا على ما سبق، يمكن القول إن النظام الديني في المجتمع الجزائري يمثل نموذجا متكاملا للدراسة الأنثروبولوجية، حيث يتجلى الإسلام كنسق ثقافي-اجتماعي شامل يتجاوز كونه مجرد معتقدات دينية إلى نظام رمزي يشكل الحياة اليومية ويؤطر العلاقات الاجتماعية. وتتمظهر هذه المنظومة من خلال شبكة متداخلة من المؤسسات التقليدية كالمساجد والزوايا والمدارس القرآنية، التي تعمل كآليات لنقل المعرفة الدينية وإعادة إنتاج القيم الثقافية عبر الأجيال، وهنا يجب التأكيد على الدور الهام للطرق الصوفية في تشكيل الهوية الروحية والثقافية للمجتمع، خاصة في مقاومة التأثيرات الاستعمارية والحفاظ على الخصوصية الثقافية. وتكشف المقاربة الأنثروبولوجية كيف تتفاعل هذه العناصر في نسيج اجتماعي متماسك، حيث تتحول الممارسات الدينية إلى طقوس اجتماعية تعزز الترابط المجتمعي وتؤسس لذاكرة جماعية مشتركة، مما يجعل من الدين عاملا فاعلا في تشكيل الهوية الوطنية والحفاظ على استمرارية التقاليد الثقافية في مواجهة تحديات الحداثة.

2.2 منظومة القيم الروحية:

تشكل منظومة القيم الروحية في المجتمع الجزائري نسيجاً متكاملاً من القيم الدينية الأساسية التي تستمد جذورها من التعاليم الإسلامية وتتفاعل مع الخصوصية الثقافية والاجتماعية المحلية. فعلى المستوى العقائدي، تتجلى هذه القيم في الإيمان العميق بالله وتوحيده، والالتزام بأركان الإسلام وتعاليمه، مما يشكل الأساس الروحي للمجتمع. أما على المستوى الأخلاقي، فتبرز قيم الصدق والأمانة والإخلاص والتقوى كموجهات أساسية للسلوك الفردي والجماعي، إلى جانب قيم التسامح والتعاون والتكافل الاجتماعي التي تعزز الترابط المجتمعي. وتتجسد هذه القيم في العلاقات الاجتماعية من خلال احترام الوالدين وصلة الرحم وحسن الجوار والتضامن في السراء والضراء، كما تظهر في الممارسات اليومية والطقوس الاجتماعية مثل الزكاة والصدقات والوقف. وتمتد هذه المنظومة القيمية لتشمل قيم العمل والإتقان والسعي في طلب الرزق الحلال،] أحمد عثمان، (1402)، ص 42)مع الحفاظ على الهوية الإسلامية في مواجهة تحديات العولمة والتغير الاجتماعي. وتستمد هذه القيم قوتها من كونها راسخة في الوجدان الجمعي، تنتقل عبر الأجيال من خلال التربية الأسرية والتعليم الديني، مما يجعلها عاملاً أساسياً في تشكيل الشخصية الجزائرية وتوجيه سلوكها نحو الخير والفضيلة.

وتترجم هذه القيم في مجموعة من الممارسات والطقوس الدينية المميزة، كإحياء المناسبات الدينية وخاصة شهر رمضان والأعياد، وإقامة الموالد والزيارات للأولياء الصالحين، وتنظيم الوعدات والزردات التي تجمع بين البعد الروحي والاجتماعي. أما التراث الروحي المتوارث فيتجسد في المأثورات الشعبية والأذكار والأدعية المتوارثة، والقصائد الدينية والمدائح النبوية، والحكم والأمثال ذات المضامين الدينية، والتي تنتقل عبر الأجيال في إطار التنشئة الاجتماعية والدينية، مشكلة بذلك بنية روحية متماسكة تحافظ على هوية المجتمع وقيمه الأصيلة.

3. تحديات الحفاظ على الهوية الروحية

تكشف المقاربة الأنثروبولوجية الدينية عن تعقيد المشهد الثقافي والروحي في المجتمع الجزائري من خلال رصد وتحليل التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه الهوية الروحية. فعلى المستوى الداخلي، يقدم التحليل الأنثروبولوجي فهماً عميقاً للتحولات الاجتماعية والثقافية المتسارعة وتأثيراتها على المنظومة القيمية، حيث يرصد الصراع بين الأجيال وتباين

أنماط الحياة والقيم بين الجيل القديم والجديد. كما يحلل إشكاليات الهوية اللغوية والثقافية من منظور أنثروبولوجي، مرتاض، (2000)، ص 29.)موضحاً التوتر القائم بين مختلف التوجهات اللغوية والثقافية، والجدل بين التيار المحافظ الذي يدعو للتمسك بالقيم التقليدية، والتيار الحداثي الذي يسعى للانفتاح على الثقافات العالمية. (بوجلال، (2003)، ص 160.)؛

أما على المستوى الخارجي، فتقدم الأنثروبولوجيا الدينية رؤية تحليلية لتأثيرات العولمة والتحديث على النسيج الاجتماعي والروحي للمجتمع الجزائري. حيث تدرس كيفية تفاعل المجتمع مع القيم والأنماط الثقافية الوافدة، وتأثير التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية والممارسات الدينية. (عمارة، (1999)، ص46)كما تحلل تأثير التيارات الفكرية المعاصرة على المنظومة القيمية والهوياتية للمجتمع، وكيفية تعامله مع تحديات الحفاظ على خصوصيته الثقافية والروحية في ظل التنوع الفكري والثقافي المتزايد.

4. آليات الحفاظ على الهوية الروحية

وفي إطار المقاربة الأنثروبولوجية الدينية لتحديات الهوية الروحية، نجد أن المجتمع الجزائري طور منظومة متكاملة من الآليات المؤسسية والمجتمعية للحفاظ على هويته، وتتجلى هذه الآليات في المؤسسات الدينية التقليدية كالمساجد والزوايا والمدارس القرآنية، التي تضطلع بمهمة التعليم الديني والتربية الروحية لمختلف شرائح المجتمع. ويتكامل مع هذا الدور المؤسسي، الدور الحيوي الذي تضطلع الأسرة الجزائرية به من أجل صون القيم الروحية ونقلها عبر الأجيال، حيث تشكل حصناً أساسياً للموروث الديني والثقافي من خلال نمط التربية الأسرية والممارسات اليومية، وتبرز أهمية هذا الدور في تأصيل الهوية الدينية في نفوس النشء، وغرس القيم الإسلامية الأصيلة، وتعزيز الروابط الروحية بين أفراد المجتمع، كما تقوم الأسرة بدور جوهري في مواجهة تحديات العصر، (الداوي ، (2013) ، ص122)من خلال توجيه الأبناء وحمايتهم من التأثيرات السلبية للعولمة، وتمكينهم من التمسك بهويتهم الروحية في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية المتسارعة.

الخاتمة:

في ختام دراستنا لموضوع الأنثروبولوجيا الدينية وعلاقتها بالهوية والثوابت الروحية في المجتمع الجزائري، يتضح أن المنظومة الدينية والقيمية تشكل بنية متماسكة في البناء الاجتماعي والثقافي الجزائري، حيث يمثل الإسلام المرجعية الأساسية في تشكيل الوعي الجمعي وصياغة أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية. وتبرز الدراسة الأنثروبولوجية كيف استطاعت المؤسسات الدينية التقليدية كالمساجد والزوايا والطرق الصوفية أن تلعب دورا محوريا في الحفاظ على الثوابت الروحية

والقيمية عبر التاريخ، خاصة في مواجهة تحديات العولمة والحداثة. كما يتجلى أن هذه الثوابت ليست مجرد موروث جامد، بل هي قوة حية متجددة تستمد حيويتها من قدرتها على التكيف مع متطلبات العصر مع الحفاظ على جوهرها الأصيل، مما يجعلها ركيزة أساسية في بناء الهوية الوطنية وتعزيز التماسك الاجتماعي. وتظل قضية الحفاظ على هذه الثوابت في ظل التحولات المعاصرة تحدياً يستدعي تضافر الجهود المؤسساتية والمجتمعية لضمان استمرارية هذا الإرث الروحي والقيمي الذي يشكل جوهر الشخصية الجزائرية وضمان تواصله عبر الأجيال.

المصادروالمراجع:

- ابن نبي، مالك (2012)، ميلاد مجتمع، ط 9، دمشق: دار الفكر..
- أبو هلال أحمد، (1974)، مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية،عمان: المطابع التعاونية.
- أحمد عثمان، (1402)، القيم الحضارية في رسالة الإسلام، الرياض: الدار السعودية،

- باستيد روجيه ، (2015)، الإناسة الدينية، ترجمة سامي الرياحي، مجلة العرب والفكر العالمي، ، عدد 33، 34، بيروت: مركز الإنماء القومي.
- بن باديس عبد الحميد، (2016) ، آثار ابن باديس، تحقيق: عمار طالبي ، الجزائر: دار الوعي.
- بوفاتح عبد العليم، (2017)، أهمية التنوع اللغوي ودوره في مواكبة الحضارة في عصر التكنولوجيا. " مداخلة مقدمة في جلسات المؤتمر الدولي : " التعدد اللغوي والتنمية البشرية "، تيزي وزو،الجزائر: جامعة مولود معمري ، أيام 7 و 8 و 9 نوفمبر.
- جابر سامية محمد،(1991)، علم الإنسان، مدخل إلى الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، ط1، بيروت: دار العلوم العربية.
- الداوي عبد الرزاق ، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، ط 1 ، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- عمارة محمد. (1999)، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية القاهرة، ط1، القاهرة:دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،
- مختار علي محمد، (2006)، دور المسجد في الاسلام، الامانة العامة لرابطة العالم الإسلامي.
- مرتاض عبد المالك ، (2000)، التعددية اللغوية في جديد لتمزيق الهوية الوطنية ، الكويت : مجلة العربي عدد 500.
- مصطفى سليم شاكر. (1981). قاموس الأنثروبولوجيا. الكويت: جامعة الكويت.
- مولود قاسم نايت بلقاسم، (2007)، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ط2، الجزائر: دار الأمة.